سلسلة دراسات
في اللاهوت الكتابي والعقيدي
١

بحث في
التقليد المقدس

تقديم
قداسة البابا شنوده الثالث

تأليف
القس شنودة ماهر إسحق
(الشماس الدكتور إميل ماهر)

القاهرة – طبعة خامسة
ديسمبر ٢٠٠٠ م – كيهك ١٧١٧ ش

فهرس

صفحة



Πενμακαριος ⲛ̀ⲓⲱⲧ ⲉⲧⲧⲁⲓⲏⲟⲩⲧ

ⲠⲀⲠⲀ ⲀⲂⲂⲀ ϢⲈⲚⲞⲨϮ ⲡⲓⲙⲁϩ ⲅ̅

اسم الكتاب / بحث فى التقليد المقدس

المؤلف / القس شنودة ماهر أسحق

الطبعة / الخامسة ٢٠٠٠م

المطبعة/ الأنبا رويس الأوفست – العباسية – القاهرة

رقم الإيداع بدار الكتب / ٥١١٢/ ١٩٩٦م

الترقيم الدولى / ISBN : 977 - 19 - 0734 - 4

مقـدمـة
لنيافة الأنبا شنودة
أسقف التربية الكنسية والمعاهد الدينية
(وهو قداسة البابا شنودة الثالث)
ليحفظ الرب حياته

ان كانت توراة موسى قد كتبت فى حوالى القرن الرابع عشر فقط قبل الميلاد ، فما هى الوصايا والتعاليم التي كان يعيش بموجبها العالم خلال آلاف السنين قبل كتابة التوراة ؟ من هنا نصل بالضرورة الى التعليم الشفاهى الذى تسلمه جيل عن جيل دون شريعة مكتوبة . وهذا هو التقليد .

سؤال واضح بسيط : من أين عرف هابيل فكرة المذبح والذبيحة التى يقدمها قربانا مرضيا لله ؟ لم تكن لديه شريعة مكتوبة ، ولم تذكر التوراة فيما بعد وصية بذلك على عهد هابيل !! فمن أين عرف هابيل فكرة الذبيحة ؟ لاشك أنه عرفها بالتقليد عن أبيه آدم ، وآدم أخذ الفكرة من الله نفسه ..

اذن فالتقليد أقدم . وقد عاشت به البشرية آلاف السنين قبل أن تكتب الشريعة فى كتاب مقدس . كل الوصايا العشر كانت تعرفها البشرية فى جوهرها قبل اللوحين المقدسين المكتوبين بأصبع الله .. انه التقليد .

ونفس الامر بالنسبة الى الانجيل فى العهد الجديد : عاش المسيحيون سنوات طويلة قبل أن يكتب أول انجيل . فبأى شريعة كانوا يسلكون ؟ أخذ الرسل عن الرب نفسه ، وسلموا ما أخذوه لتلاميذهم ، ونشر تلاميذهم تلك التعاليم بين الناس . ثم جاءت اليهم الكتب المقدسة مؤيدة لما فى أسماعهم وأذهانهم وقلوبهم من تعاليم . بل بقيت تعاليم أخرى كثيرة لم تكتب فى الانجيل ، وسلمها الرسل شفاها للقادة أو الناس ..

هذا هو التقليد .. تؤمن به كل الكنائس الرسولية .

وحتى البروتستانت الذين يعارضون التقليد ، لهم هم أنفسهم تقاليد يسيرون بموجبها ، لم ترد فى الكتاب المقدس .

الصلوات التى يصلونها ، والطقوس التى يتبعونها ، فى الزواج والعماد وإقامة القسوس وخدام الكنيسة وما الى ذلك : من أين أتوا بها وهى لم تذكر فى الانجيل ... ؟! ألا تعتبر تقليداً « خاصاً » ؟! أولا يكون التقليد الرسولى أولى بالاهتمام وأجدر بأن نتبعه ؟

لست أريد أن أطيل الشرح فى هذا الموضوع ، وانما أتركك أيها القارىء العزيز الى هذا الكتاب القيم الذى بين يديك ، لتجد فيه بحثا مستفيضا عن التقليد الكنسى يطرقه من شتى النواحى ..

أهنىء الدكتور اميل ماهر من كل قلبى على هذا المجهود الكبير النافع ، وأشكره عليه ، وأرجو أن يكون باكورة لمؤلفات اخرى فى الايمان والعقيدة . وأدعو الجميع الى قراءته والانتفاع به للمعرفة الشخصية ولاجتماعات الكنيسة سواء فى الوعظ العام أو اجتماعات الشبان أو فصول التربية الكنسية .

فليعط الرب هذا الكتاب نعمة وبركة ليقوم بالرسالة التى كتب لأجلها . وليعطنا الرب جميعنا روح خضوع واتضاع نقبل بها التقاليد التى وضعها الآباء القديسون بارشاد الروح القدس أو بتسليم من ربنا يسوع المسيح نفسه .

الاثنين ١٩٦٦/١/٣ (٢٥ كيهك سنة ١٦٨٢)
تذكار القديس أنبا يحنس كاما

شـــنوده
أسقف المعاهد الدينية والتربية الكنسية

تصـــدير
للقمص باخوم المحرقى
(وهو نيافة الأنبا غريغوريوس)
ليحفظ الرب حياته

التقليد بمفهومه الكنسى هو أحد المصادر الثلاثة التى يستند اليها التعليم المسيحى . وهذه المصادر هى الكتاب المقدس ، والتقليد ، والمجامع المسكونية .

والتقليد فى الاصطلاح الكنسى هو التعاليم والنظم الدينية المسلمة من جيل الى جيل ، وخلفا عن سلف ، بحيث يمكن تتبع مصدره الى الآباء الرسل الذين تسلموه عن المسيح له المجد ، أو تلقنوه من الروح القدس الذى حل عليهم وملأهم من فيضه ، وسلموه للآباء من بعدهم ، وسلمه هؤلاء الى خلفائهم . وبعبارة أخرى فان التقليد هو التسليم . والتقاليد الرسولية والكنسية هى المسلمات الايمانية والنظامية المودعة فى كنيسة المسيح ، وهى تراثها الروحى الذى تعتز به وتتمسك بالمحافظة عليه كوديعة الهية مقدسة .

اذا كان ذلك كذلك ، فالتقليد بمفهومه هذا يختلف عن التقليد بمعنى « المحاكاة » أو « التمثيل » لأن التقليد الكنسى وديعة مسلمة الى الكنيسة مطلوب منها ان تحافظ عليها وتصونها الى يوم مجىء الرب . ويقابل التقليد بالعربية كلمة παραδοσις باليونانية وكلمة ⲡⲁⲣⲁⲇⲟⲥⲓⲥ بالقبطية ، وكلمة *traditio* باللاتينيــة ، وكلمة tradition بالانجليزية والفرنسية ، بينما أن كلمة « المحاكاة » تقابلها الكلمة الانجليزية أو الفرنسية imitation . والكلمــة اليونانية . παραδοσις مؤلفة من مقطعين يفيدان معا « شىء يسلم يدا بيد » وهو المعنى المقصود بالتقليد فى الاصطلاح الكنسى . وأحيانا يرد فى القبطية البحيرية ⲛⲏⲉⲧⲁⲩⲧⲏⲓⲧⲟⲩ ⲉⲧⲟⲧⲟⲩ بدلا من كلمة παραδοσις باليونانية كما فى النص الوارد فى (غلاطية ١٤:١) والنص الوارد فى (تسالونيكى الثانية ٦:٣)

ولما كان الكتاب المقدس هو نفسه قد سلم الينا من جيل الى جيل ، ومن الكنيسة تسلمنا انه هو كتاب الله الذى أودع فيه الروح القدس حقائق الوحى المقدس ، فالكتاب المقدس هو أيضا « تقليد » مسلم الينا منذ القديم ، منذ العصور القديمة ، ومن الكنيسة الاولى ممثلة فى الآباء الرسل الاطهار الآخذين رأسا عن السيد المسيح مخلصنا .

وعلى هذا القياس يمكن ان نوقن ان تعاليم الكنيسة وعقائدها هى ايضا تقاليد رسولية . فالتوحيد والتثليث ، ولاهوت المسيح ،

والحياة الآخرة ، وانتشار الخطيئة الأصلية من آدم الى كل ذريته ، والفداء ، .. كل هذه تقاليد .. وبالمثل يمكن ان نوقن ان رسم علامة الصليب ، والاتجاه الى الشرق ، وتقديس يوم الاحد ، واقامة القداسات ، والاصوام ، والاعياد ، وأسرار الكنيسة السبعة من المعمودية الى التثبيت الى القربان الى التوبة الى مسحة المرضى الى الزيجة الى الكهنوت .. كل هذه ايضا تقاليد لانها جميعا مسلمة الينا منذ القديم ، وقد اودع التعليم بها فى الكتاب المقدس الذى هو بذاته تقليد مسلم الينا ، فضلا عن التعليم المودع فى كتب الكنيسة وقوانينها وطقوسها . هذه وتلك جميعا تقاليد رسولية مودعة فى كنيسة المسيح الرسولية . وقد اوصى الرسول بالمحافظة عليها بقوله « فاثبتوا إذن أيها الاخوة ، وتمسكوا بالتقاليد التى تعلمتموها إما بكلامنا وإما برسالتنا » (تسالونيكى الثانية٢:١٥)

والتقليد ضرورى فى ديانتنا . استند اليه الآباء فى ايضاح تعاليمنا وعقائدنا وطقوسنا ، وفى ردهم على أصحاب الديانات الاخرى ، وعلى الهراطقة الذين عوجوا كلمات الكتاب المقدس وافسدوا تأويلها بنظرياتهم المنحرفة . وقد عانت الكنيسة كثيرا من هؤلاء الهراطقة الذين ازعجوها منذ فجر المسيحية ، حتى ان كتابات الرسل فى العهد الجديد تطفح بشكوى الآباء الرسل من هؤلاء « الأخوة الكذبة » (غلاطية٢:٤) والذئاب الخاطفة (أعمال ٢٠:٢٩) الذين « يسلكون على خلاف الترتيب بغير مقتضى

التقليد الذى تسلموه منا » (تسالونيكى الثانية٣:٦) و« يدسون بدع هلاك » (بطرس الثانية٢:١) . فقد كان التقليد دائما سنداً للتعاليم القويمة التى علمت وتعلم بها الكنيسة المقدسة .

على انه يجب أن نشير هنا الى قاعدة أساسية فى فهمنا للتقليد واخذنا به . وذلك أن التقليد المقدس مرتبط دائما بـ « الوحدة الايمانية الروحية المستقرة فى الكنيسة » شأنه فى ذلك شأن اسفار الكتاب المقدس ، والمجامع المسكونية . فنحن لا نسلم بأى تقليد دون أن نتحقق مصدره ، بل نسلم فقط بالتقاليد المحفوظة فى الكنيسة المقدسة والتى يمكننا أن نثبت انها من تسليم الآباء . ولابد لهذه التقاليد بطبيعة الحال ان تكون متفقة مع الوحدة الايمانية الروحية المستقرة فى الكنيسة والتى تظهر فى اسفار الكتاب المقدس وقرارات المجامع المسكونية . وكذلك الحال فيما يتصل بالمجامع المسكونية . فلسنا نسلم بقرارات اى مجمع مسكونى ما لم يكن هذا المجمع قد انعقد بالطريق القانونى لعقد المجامع المسكونية ، وما لم تكن هذه القرارات متفقة ومتمشية مع « الوحدة الايمانية الروحية المستقرة فى الكنيسة المقدسة » السارية فى تعليم الكتاب المقدس والتقليد المقدس . وبالمثل ايضا فيما يختص بالكتاب المقدس فلسنا نقدس كل كتاب يحمل اسماً من أسماء الانبياء والرسل (كانجيل برنابا المزعوم .. وما اليه) ما لم يكن هذا السفر موثوقا فى صحة مصدره وما لم يكن ايضا متمشيا ومتفقا مع « الوحدة

الايمانية الروحية المستقرة في الكنيسة المقدسة » السارية فى كل اسفار الكتاب المقدس الاخرى وفى التقليد المقدس وفى « قرارات المجامع المسكونية المقدسة » .

هذه « الوحدة الايمانية الروحية المستقرة فى الكنيسة المقدسة » هى المحك لبيان قانونية اى سفر يزعم الناس انه الهى ، وأى تقليد يظن أنه صحيح ، وأى مجمع يعتقد انه مقدس .

ولسوف يجد القارىء فى هذا الكتاب الذى وضعه الابن المبارك الشماس الدكتور اميل ماهر اسحق ، بحثا نافعا عن التقليد المقدس مؤيدا بالبراهين والأدلة ومدعما بالنصوص من الكتاب المقدس ومن أقوال الآباء مع ردود واضحة مقنعة على الاعتراضات التى تثار ضد التعليم بالتقليد ، والأسئلة التى تنشب فى ذهن القارىء والتى يحار فى الاجابة عليها .

وانى اسأل أجرا صالحا للمؤلف ، ومتعة وفائدة وبركة للقارىء ولله السبح والشكر دائما

القمص باخوم المحرق

التقليد المقدس

التقليد هو الايمان الحى المسلم مرة للقديسين (يه ٣) فهو الايمان المسيحى بكل مقوماته سلمه الرب لتلاميذه حيا فى قلوبهم ، وهؤلاء نقلوه الى المؤمنين (١كو١٥:٣) حيا أيضا وفعالا فى القلوب بالروح القدس الذى يعمل فى الكارزين ويهيىء السامعين فتنتشر الكلمة وتمتد بالتسليم ، وينتقل الايمان كاملا وقويا من قلب الى قلب ، ومن شخص الى شخص ، ومن جيل الى جيل .

فالتقليد المقدس يشتمل بحق على كل مقومات الحياة المسيحية ، ويهيىء للمؤمنين حياة الشركة مع المسيح بالروح القدس . فهو :

١ — **يشتمل على جميع حقائق الايمان المسيحية** ، سواء المسجلة فى الاسفار الالهية ، أو التى فى الدسقولية وقوانين الرسل ، وقرارات المجامع المقدسة القانونية ، وسائر التعاليم المقدسة الشفاهية الرسولية الموجودة فى الكنيسة والمسجلة أيضا فى أقوال الآباء وكتاباتهم .

٢ — **كما يشتمل أيضا على نظم (طقوس) العبادة كلها** ، التى تمسكت وتتمسك بها الكنيسة منذ أجيالها الأولى .

فالمسيحية اذن ليست فلسفة فكرية أو مفهومات ذهنية يكفى لاستيعابها أن تقرأ من الكتب ، وانما هى روح وحياة تنتقل من قلب الى قلب بالتسليم .

المسيحية ديانة تقليد

أولاً — لأن التقليد هو طريق المسيح فى الكرازة :

فإن ربنا يسوع المسيح اختار تلاميذه الاثنى عشر ليلازموه دائما ويستمعوا اليه ليتعلموا منه . كانوا يقيمون معه ليل نهار ويصاحبونه فى جميع رحلاته وكرازاته ، يستمعون اليه وهو يعلم الناس ويشفى جميع المرضى ، يدخل الى المجامع ويكرز ببشارة الملكوت . هكذا استمروا يلازمونه متتلمذين عليه أكثر من ثلاث سنوات كاملة .

ولم يكن طريق السيد المسيح فى الكرازة أن يكتب كتابا وانما ان يعد رجالا يغرس فيهم الايمان الحى ، وبعد أن يملأهم بقوة الروح القدس يرسلهم فيفتنوا المسكونة كلها بأقوالهم وتعاليمهم .

ذلك ما فعله مخلصنا بتلاميذه . فبعد أن أعدهم وأهّلهم أرسلهم ليتلمذوا آخرين قائلا لهم : « اذهبوا **وتلمذوا جميع الأمم** وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس **وعلموهم أن يحفظوا جميع ما اوصيتكم به** ... » (مت٢٨: ١٩—٢٠) .

فالتلمذة فى مفهوم السيد المسيح لم تكن كما فى جيلنا مجرد دراسة نظرية يتلقاها الانسان فى المدارس ويستوعبها من الكتب ، وانما كانت تلمذة حياة دائمة وعشرة قوية وشركة مستمرة .

كذلك نقرأ فى مواضع كثيرة من الأناجيل المقدسة أن السيد المسيح كان يعلم فى مجامع اليهود ويكرز ببشارة الملكوت ... (راجع مت٩: ٣٥ ، مر١: ٢١ ، مر٦: ٢ ، لو٤: ١٥، ٤١ ، لو١٣: ٣٢ ، لو١٩: ٤٧ ، أع١: ٣) ، ومع ذلك لا تذكر الأناجيل تفاصيل ما قاله فى تلك المجامع . هل ذلك لأن ما قيل فى تلك المجامع ليست له أهمية أو لأننا لسنا بحاجة اليه ؟!! كلا ... فان كل كلام السيد هو روح وحياة ، ونحن بحاجة الى كل كلمة قالها السيد ، وانما لم يذكر الانجيليون كل كلمات السيد لأنهم عندما كتبوا الأناجيل لم يكونوا يقصدون بها أنها تلغى بحال من الأحوال تلك التقاليد المقدسة الشفاهية التى قضوا كل حياتهم يوصلون بها كل تعاليم المخلص ويثبتونها فى قلوب المؤمنين .

كذلك أيضا تذكر الأناجيل المقدسة أن ربنا يسوع جاء الى الجليل يكرز ببشارة الملكوت ويقول : قد كمل الزمان واقترب ملكوت الله فتوبوا **وآمنوا بالانجيل** (مر١: ١٤ — ١٥) . **أى انجيل هذا ؟ أليس هو تعليم كرازته الشفاهية .**

كذلك أيضا لم تذكر الأناجيل سوى النذر اليسير من أقوال السيد وتعاليمه لتلاميذه فى ظهوراته لهم بعد قيامته المقدسة مدة

أربعين يوما قبل صعوده الى السموات وانما اكتفت بأن تقول أنه فتح ذهنهم ليفهموا الكتب ... وأنه كان « يظهر لهم أربعين يوما ويتكلم عن الأمور المختصة بملكوت الله » (أع٣:١) .

فالانجيليون الأطهار لم يكونوا يقصدون اطلاقا أن يحصروا كل أقوال السيد فى كتب تغنى المؤمنين عن التعاليم الشفاهية . تلك التى قضى الرسل كل حياتهم يوصلون للمؤمنين عن طريقها كل ما رأوه وسمعوه وتعلموه من السيد له المجد . ويكفى أن نسجل ما كتبه معلمنا يوحنا البشير فى ختام انجيله اذ يقول : « وأشياء أخر كثيرة صنعها يسوع إن كتبت واحدة فواحدة فلست أظن أن العالم نفسه يسع الكتب المكتوبة » (يو٢٥:٢١) .

ثانيا ــ لأن التقليد هو طريق الرسل فى الكرازة :

التلاميذ أيضا أيقنوا أن التقليد هو طريق الكرازة . فانطلقوا ممتلئين من الروح القدس يشهدون للحق فى كل مكان « الى كل الارض خرج صوتهم والى أقاصى المسكونة أقوالهم » (رو١٨:١٠، مز٤:١٩) . كانت كرازتهم بأقوالهم وأعمالهم كلها شهادة للحق، كانت كلها نورا يكشف ويبكت أعمال الظلمة غير المثمرة .

هكذا استطاع اثنا عشر رجلا من البسطاء العزل (من السلاح) أن يفتنوا المسكونة كلها ويحولوها الى الايمان بالمسيح .

فالمسيحية لم تكن فلسفة من الفلسفات ولا مجرد تعاليم أدبية سامية بل هى روح وحياة . لذلك فقد كان هدف آبائنا الرسل أن ينقلوا ذلك الروح وتلك الحياة الى داخل القلوب . واستطاعوا ذلك فعلا بكرازتهم الشفاهية وردوا كثيرين الى الايمان . فنقرأ فى سفر الأعمال أن عظة بسيطة قصيرة لبطرس الرسول مؤيدة بقوة الروح استطاعت أن تخترق قلوب السامعين وتنخسهم فقبلوا الايمان ، وانضم للكنيسة فى ذلك اليوم نحو ثلاثة آلاف نفس ... « وكان الرب كل يوم يضم الى الكنيسة الذين يخلصون » (أع ٤٧:٢) .

مجرد رؤية الرسل القديسين أو سماع كلماتهم كانت تترك أثرا فى نفوس الأمميين الوثنيين فتصيرهم مسيحيين مؤمنين . والخطاة عندما يرون الرسل كانوا يتبكتون على خطاياهم ويبهرون بالفضيلة المتجسمة فى الرسل فيقبلون الى التوبة .

لقد كان التقليد سر قوة الكرازة ، من حيث هو اقتداء بالمسيح ورسله . فإذا رأى إنسان وثنى آخر مسيحيا تنطبع فى نفسه آثار طيبة تغيّر من طباعه بدرجة واضحة تجعل زملاءه الوثنيين يقولون له لابد أنك اليوم قد قابلت مسيحيا .

كان هدف الرسل أن يبشروا بالمسيح وأن يقدموه حيا فى حياتهم ، ولم يكن هدفهم أن يكتبوا ، بدليل أن الكثيرين منهم وهم

أعمدة المسيحية لم يكتبوا شيئا على الاطلاق . ولم يكن بعدهم عن الكتابة عجزا منهم ، ولكنهم لم يكتبوا لأنهم كانوا يعرفون طريق الكرازة الأساسى أنه التقليد ـــ تسليم الايمان الحى مباشرة الى النفوس . فليس التبشير هو تسجيل الايمان بورق وحبر بقدر ما هو ادخال الايمان حياً الى القلوب .

فالاثنا عشر رسولا لم يكتب أحد منهم انجيلا الا اثنان فقط هما معلمنا متى ومعلمنا يوحنا .

أما معلمنا يعقوب الرسول فلم يكتب سوى رسالة واحدة قصيرة من الممكن قراءتها أو كتابتها فيما لا يزيد عن ساعة من الزمان ، ففى أى شيء قضى كل سنى كرازته ؟!

كذلك معلمنا يهوذا الرسول لم يكتب سوى رسالة واحدة قصيرة لا تستغرق فى كتابتها أو قراءتها أكثر من نصف ساعة ، ففى أى شيء قضى كل أيام حياته وكرازته ؟!

كذلك أيضا معلمنا بطرس الرسول لم يترك سوى رسالتين قصيرتين يمكن كتابتهما وقراءتهما فيما لا يزيد عن الساعتين ، ففى أى شيء قضى كل سنى خدمته وكرازته ؟!

أين ما كتبه اندراوس وتوما وفيلبس ويعقوب الكبير وسمعان القانوى وباقى الاثنى عشر والسبعين رسولا ... ؟!!

واضح جدا أنه لم تكن الكتابة هدفا أساسيا للرسل ، وانما الذين كتبوا منهم كتبوا بعد فترات طويلة عندما طرأت أسباب دعتهم الى ذلك . فكيف كانت الكرازة تنمو وتمتد قبلما كتبوا ؟! .

لأن معلمنا متى البشير انما كتب انجيله بعد صعود السيد المسيح بعدة سنوات ، كتبه لليهود بناء على طلبهم قبل أن يتركهم وينطلق لتبشير أثيوبيا .

وكذلك معلمنا مرقس الانجيلى كتب انجيله فى مصر عندما كان مزمعا أن يتركها ليبشر بالايمان فى ليبيا ، فترك لهم انجيله ليكون مصدر عزاء وتعليم لهم أثناء فترة غيابه .

وعندما كتب معلمنا لوقا البشير انجيله سجل سبب كتابته أنه لتسجيل الايمان الصحيح اذ يقول : « اذ كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة فى الامور المتيقنة عندنا **كما سلمها الينا** الذين كانوا منذ البدء معاينين وخداما للكلمة ، رأيت أنا أيضا اذ قد تتبعت كل شيء من الأول بتدقيق أن أكتب على التوالى اليك أيها العزيز تاوفيلس **لتعرف صحة الكلام الذى عُلّمت به** » (لو ١ : ١ ـــ ٤) .

وقد يكون الداعى أيضا الى الكتابة هو دحض بعض الهرطقات التى ظهرت فى بعض الكنائس عندما يكون الرسول بشيرها بعيدا عنها يبشر فى بلاد أخرى . أو تكون اجابة على أسئلة ترسلها اليه تلك الكنائس . فتأتى كتابات الرسول دحضا لتلك الهرطقات أو اجابة على تلك الاسئلة ، كما فى رسائل معلمنا بولس الرسول .

كذلك فان معلمنا يوحنا الانجيلي حبيب المسيح لم يكتب انجيله سوى سنة ٩٨ م عندما قام بعض الهراطقة ينكرون لاهوت السيد المسيح ، فطلب اليه المؤمنون بالحاح ان يكتب . فكتب انجيله فى شيخوخته هادفا منه الى توضيح الايمان واثبات لاهوت السيد المسيح له المجد . وهكذا دواليك بالنسبة لسائر كتب العهد الجديد .

هنا وقد يعترض البعض بأن التقاليد التي علمها الرسل والتي كتبوها واحدة ، علموها أولاً ثم كتبوها بعد ذلك ، وعلى ذلك فلا توجد تعاليم لم تسجل فى كتبهم .

ولكن الحقيقة تنافى هذا الادعاء . لأن الرسل الذين كتبوا قد أكدوا فى كتاباتهم أهمية التقاليد الشفاهية و لم يعتبروا قط أن كتاباتهم تلغى أهمية تلك التقاليد ، **بل استمروا أيضا بعدما كتبوا يفضلون طريق التقليد والتسليم الشفاهي .**

فنجد أن معلمنا يوحنا الرسول فى رسالته يقول : « اذ كان لى كثير لأكتب اليكم لم أرد أن يكون بورق وحبر لأنى أرجو أن آتى اليكم واتكلم فما لفم لكى يكون فرحنا كاملا » (٢يو١٢)

ويكرر نفس هذا الكلام فى رسالته الثالثة مفضلا طريق التسليم الشفاهى أيضا عن الاسترسال فى الكتابة فيقول : « وكان لى كثير

لأكتبه لكننى لست أريد أن أكتب اليك بحبر وقلم ولكننى أرجو أن أراك عن قريب فنتكلم فما لفم » (٣يو١٣ ، ١٤) .

كذلك لم يكونوا يقصدون تسجيل جميع الترتيبات الكنسية والطقوس الخاصة بنظم العبادة فى كتاباتهم بل كانوا يعتمدون على تسليمها مباشرة لتلك الكنائس . فمعلمنا بولس الرسول يقول فى رسالته الأولى الى أهل كورنثوس « وأما الأمور الباقية فعندما أجيء أرتبها » (١كو١١:٣٤) .

وفى سفر العبرانيين يخبرهم بأنه سيسلمهم الأنظمة الخاصة بالعماد ووضع اليد ولا يكتب شيئا عن تفاصيلها بل يقول : « وهذا سنفعله ان شاء الله » (عب٦:٢،٣) .

وعندما كانت أوقات الرسول بولس لا تسمح له بالبقاء مدة كبيرة فى بلد ما ليتم تسليم التنظيمات الكنسية اليهم ويضطر لمغادرتهم قبل أن يتمم ذلك بنفسه كان يترك لهم بعض تلاميذه الذين يتابعونه فى أسفاره المختلفة والذين سمعوا وتعلموا كل شيء عن تلك الطقوس ، لكى يكملوا تلك الخدمة المقدسة وترتيب الامور الناقصة . وهذا ما فعله بولس الرسول لأهل كريت اذ ترك لهم تلميذه تيطس وسافر ... ثم كتب اليه رسالة يقول له فيها « لأجل هذا تركتك فى كريت لكى تكمل ترتيب الامور الناقصة وتقيم فى كل مدينة قسوسا » (تى١:٥) .

كذلك فانه عندما اجتمع الرسل فى اورشليم ليتخذوا قرارا بشأن ما ينبغى على الامم المقبلين للايمان ان يعملوا كتبوا ما قرروه ورأوا أن تبلغ تلك القرارات لكنائس الامم كتابة وتشرح لهم فى نفس الوقت تفصيلاتها شفاها بيد رسولين يوفدان من المجمع مع بولس وبرنابا . فكتبوا لكنائس الأمم رسالة سجلوا فيها مع القرارات المجمعية أنه « قد أرسلنا يهوذا وسيلا وهما يخبرانكم بنفس الامور شفاها » (أع ١٥ :٢٧) . ذلك ما اعتاد الرسل أن يفعلوه ، أن يشفعوا كتاباتهم بشروحاتهم وتعاليمهم الشفاهية ويسلموها للمؤمنين ويوصونهم بأن يتناقلوها بأمانة جيلا بعد جيل .

وهكذا وجدنا أن الرسول بولس يوصى أهل فيلبى فى رسالته اليهم قائلا « وما تعلمتموه وتسلمتموه وسمعتموه ورأيتموه فىّ فهذا افعلوا » (فى٤ :٩) .

وكذلك أوصى تلميذه تيموثاوس قائلا له « تمسك بصورة التعليم الصحيح الذى سمعته منى » (٢تى١ :١٣) . ثم يأمره بتسليم ذلك التعليم الصحيح الذى سمعه منه لأناس أمناء يكونون قادرين أن يعلموا آخرين أيضا فيقول « وما سمعته منى بشهود كثيرين أودعه أناسا أمناء يكونون أكفاء أن يعلموا آخرين » (٢تى٢ :٢) .

كذلك فان الرسول بولس يوصى أهل تسالونيكى فى رسالته

الثانية اليهم ان يتمسكوا بالتقاليد فيقول « اثبتوا اذا أيها الاخوة وتمسكوا بالتقاليد التى تعلمتموها سواء بالكلام (شفاها) أم برسالتنا » (٢تس٢ :١٥) . ونلاحظ ان الرسول بولس عندما يشير إلى التقاليد ، يستخدم الكلمة اليونانية παραδοσις التى تترجم فى الانجليزية الى traditions وتعنى باللغة العربية التقاليد أو التقليدات أو التسليمات .

كذلك فانه يوصى التسالونيكيين فى نفس الرسالة أن يتجنبوا كل من لا يسلك بحسب التقليد فيقول : « ثم نوصيكم أيها الاخوة باسم ربنا يسوع المسيح أن تتجنبوا كل أخ يسلك بلا ترتيب وليس حسب التقليد الذى أخذه منا » (٢تس٣ :٦) .

وعندما كتب رسالته الاولى الى أهل كورنثوس مدحهم على أنهم يحفظون التقاليد كما سلمها اليهم فيقول « وأمدحكم أيها الاخوة على أنكم تذكروننى فى كل شىء وتحفظون التقاليد كما سلمتها اليكم » (١كو١١ :٢) .

[واضح أنه يتحدث عن التقاليد الشفاهية لأنه لم يكن قد سبق فكتب لهم رسالة قبل رسالته الأولى هذه] .

هنا وقد يعترض البعض على التقليد ظنا منهم بأن السيد المسيح قد علّم برفضه وبكت اليهود على تمسكهم به قائلا لهم « قد أبطلتم وصية الله بسبب تقليدكم » (راجع مت ١٥ :١ ـــ ١٢) .

والواقع أن السيد المسيح لم ينكر التقليد عموما بل أنكر على الكتبة والفريسيين تقليداتهم الخاصة التى ابتدعوها ضد وصايا الله لخدمة أهوائهم الخاصة ومنافعهم الشخصية ، اذ نلاحظ أن كلمة التقليد التى استخدمها السيد المسيح فى ذلك المجال هى نفس الكلمة اليونانية παράδοσις التى استخدمها بولس الرسول فى وصيته بضرورة التمسك بالتقاليد . كذلك فان الترجمة القبطية قد احتفظت بنفس الكلمة اليونانية ⲡⲁⲣⲁⲇⲟⲥⲓⲥ وكذلك أيضا فان الترجمة الانجليزية استخدمت نفس الكلمة tradition فى جميع المواقف .

أما بالنسبة للترجمة العربية ـــ نسخة بيروت ـــ فلعل مترجميها بسبب عدم فهمهم للتقليد وانكارهم اياه قد أوقعوا أنفسهم فى حيرة وارتباك عندما وضعوا ترجمتهم العربية البيروتية . فإنهم بصدد كلام السيد عن تقليد الفريسيين ترجموا كلمة παράδοσις الى تقليد ولكنهم عندما ترجموا كلام الرسول بولس الذى يوصى فيه أهل تسالونيكى بحفظ التقاليد (٢تس ٢ :١٥) ،وتجنب كل من لا يسلك بموجبها(٢تس٣ : ٦) ، وكذلك كلامه فى مدح أهل كورنثوس لتمسكهم بالتقاليد (١كو١١ :٢) وجدوا أن الكلمة اليونانية المستخدمة فى تلك الآيات هى نفس الكلمة اليونانية παράδοσις ، فلم يشاءوا أن يترجموها الى « تقاليد » كما ترجموها من قبل فى كلام السيد ضد تقليد الكتبة والفريسيين بل ترجموها الى كلمة « تعاليم » بالرغم من وجودها أيضا فى الترجمة الانجليزية

باستخدام كلمة tradition فى جميع الحالات ، وان كانوا قد أشاروا فى حاشية الترجمة البيروتية الغربية فى نسخة الكتاب المقدس ذات الشواهد الى أن الكلمة التى ترجموها الى « تعاليم » هى نفسها « تقليدات » .

ومن كل ذلك يتضح لنا أنه لا تعليل لما أجراه أصحاب الترجمة البيروتية من ترجمة الكلمة اليونانية الواحدة مرة بمعنى « تقاليد » ومرات بمعنى « تعاليم » سوى رغبتهم فى انكار التقاليد المسيحية وسوء فهمهم لعبارة السيد المسيح التى قالها للفريسيين « قد أبطلتم وصية الله بسبب تقليدكم » . ولكن الأمر فى غاية الوضوح فان السيد المسيح انما قد أنكر على اليهود تقليداتهم الخاصة التى هى من وضع الناس والتى وضعها الكتبة والفريسيون لمنفعتهم الخاصة ولخدمة أغراضهم الشخصية . كذلك التقليد الذى وضعوه لاباحة التحايل على وصية اكرام الوالدين . فمن طريقه يستطيع الابن العاصى أن يتنصل من مسئولية اكرام والديه والاهتمام باحتياجاتهما المادية بأن يقول لهما قربان ، أى أنه سيقدم ما كان ينبغى عليه أن يدفعه لهما قربانا للهيكل [ولايخفى ما فى ذلك من نفع مادى للكتبة والفريسيين ونقض لوصية الله باكرام الوالدين] . وبالمثل أيضا بالنسبة للغسلات والتطهيرات الخارجية دون تطهير القلب من الداخل بالتوبة وما فى تلك المظاهر الشكلية من رياء . (راجع مت١٥ :١ــ١٢) .

ولكن فرق بين تقليد الكتبة والفريسيين الذى هو من وضع الناس وضد وصايا الله ، وبين التقليد المسيحى الذى هو من وضع ربنا يسوع المسيح نفسه ، وتسليم رسله القديسين وآباء الكنيسة الاطهار .

فالتقليد المسيحى هو وصايا الله نفسها كما سلمتها لنا الكنيسة وأمرتنا بحفظها وتداولها جيلا بعد جيل بمنتهى الدقة والأمانة لانها هى الايمان الحى المسلم مرة للقديسين .

ولكى يقبل أى تقليد على انه تقليد سليم يجب أن يتصف بالصفات الآتية :

١ ـ موافقته وعدم تعارضه مع الكتاب المقدس .
٢ ـ موافقته للتقاليد الرسولية الاخرى المقبولة دون شك .
٣ ـ أن يكون معروفا ومقبولا منذ البداية فى جميع الكنائس المؤسسة من الرسل .
٤ ـ أن يكون مشهودا له بالاجماع من جميع آباء الكنيسة فى جميع الأجيال .

فاذا ظهر فى وقت ما أى تقليد غير مستوف لشرط من الشروط السابقة فإن الكنيسة ترفضه بشدة وتنبذه وتقطع المتمسكين به من عضويتها .

نستخلص مما سبق ان المسيحية ديانة تقليد .

أولا : لأن التقليد هو طريق السيد المسيح فى الكرازة .

ثانيا : لأن التقليد هو طريق الرسل أيضا فى الكرازة .

ليس ذلك فقط ولكن :

ثالثا : لأن التقليد هو طريق الله منذ بدء الخليقة فى توصيل وصاياه وحفظها :

فلقد عاشت البشرية منذ بدء الخليقة وحتى نزول الشريعة المكتوبة مدة تزيد كثيرا عن الالفى عام كانت فيها كل معارفها عن الله عن طريق التقليد الشفاهى فقط . فلقد كان التقليد الشفاهى هو المصدر الوحيد للمعرفة بالشريعة الإلهية . تسلمه آدم من الله وسلمه لبنيه وصار ينتقل فى أجيالهم بالتسليم جيلا بعد جيل .

وفى تلك الحقبة الزمنية ظهر الآباء **البطاركة** القديسون آدم وهابيل وأخنوخ ومتوشالح ونوح وابراهيم ولوط واسحق ويعقوب .. الخ . أولئك الذين أرضوا الرب بأعمالهم ، وعبدوه وفق مشيئته ، وبحسب تعاليمه التى تسلموها منه ، وتداولوها فى أجيالهم بالتسليم . فلقد تعلموا الذبيحة الدموية ، ومارسوا تقديمها ، وعرفوا المذبح ، وقدموا عليه ذبائحهم .. وفهموا أن الفداء هو الطريق الوحيد للخلاص ، وماتوا على رجاء مجىء المسيا المخلص الحقيقى نسل المرأة الذى سيسحق رأس الحية (تك٣ : ١٥) .

نعم أولئك هم الآباء البطاركة الذين شُهد لهم بأنهم أبطال الايمان الذيـن أرضوا الـرب وماتـوا على الرجـاء (عب١١:١ــ٢٩) .

كان منهم أيضا أخنوخ الذى أرضى الرب بأعماله واستحق أن ينتقل حيا الى السماء (راجع تك ٥ :٢١ ــ ٢٤) .

نعم ما أقوى صوت ناموس العفة والطهارة الذى تلقنوه شفاها بالتقليد وتداولوه جيلا بعد جيل ، يلقنه الأب لأولاده . ما أجمل ما تعلمه يوسف الشاب الصغير من أبيه يعقوب عن العفة والطهارة وأن حفظهما وصية الهية وكسرهما خطية موجهة ضد الله . ما أقوى صوت ذلك التقليد الذى استمر فى أذنى يوسف الشاب الصغير بعد أن غدر به اخوته وباعوه ظلما فنزل الى مصر وبيع عبدا فى بيت فوطيفار .. فلما هاجمته الخطية بعنف وأثقلت حروبها عليه ، حيث كانت امرأة سيدة تراوده عن نفسها وتلح عليه ، بينما كان هو عبدا مسكينا منفيا غريبا ولكن .. صوت ذلك التقليد كان قويا فلم يرضخ لها . وبالرغم من عدم وجود وصية صريحة مكتوبة تنهى عن الزنا ، وبالرغم من أن يوسف لم يكن يعيش فى عصر النعمة ولم يكن يتمتع بمواهب العهد الجديد ، ومساندات النعمة القوية العاملة فى الأسرار المقدسة ، ومواهب التثبيت التى للروح القدس ، لكنه استطاع بفضل ذلك التقليد القوى أن يحفظ ناموس العفة والطهارة ناظرا الى الله ، موقنا أنه الرقيب على كل ما يعمله

الانسان .. فصرخ فى وجهها قائلا « كيف أصنع هذا الشر العظيم واخطىء الى الله » (تك٣٩ :٩) . هكذا صار يوسف المثل الأعلى للعفة والطهارة للشباب فى جميع الأجيال .

كذلك ايضا كانت وصية حفظ السبت معروفة قبل نزول الناموس المكتوب .. فلقد أوصى موسى الشعب بألا يلتقطوا مناً فى اليوم السابع **لأنه سبت للرب** يستريحون فيه ، وبكّت الله الذين خرجوا لالتقاط المن يوم السبت قائلا « الى متى تأبون أن تحفظوا وصاياى وشرائعى » (خر١٦ :٢٨) . كانت تلك الشرائع شفاهية معروفة بالتقليد ، لأن شريعة حفظ السبت المكتوبة قد نزلت بعد ذلك بشهرين ، وورد ذكرها فى الأصحاح العشرين من سفر الخروج .

هكذا استمر التقليد الشفاهى مصدرا وحيدا للتعليم الالهى ومربيا وحيدا للضمير الانسانى لمدة تربو عن **الألفى عام** .. ولما ضعف أثر التقليد فى كثير من الأمم بسبب انحراف النفس البشرية وميلها نحو الشر ، وتقسى القلوب بالخطية ، واعوجاج الفكر ، كان لابد أن تنزل الشريعة المكتوبة لتظهر وتوضح معالم الشريعة الطبيعية الالهية المنقوشة فى قلوب البشر والتى شوهوا ملامحها بفسادهم ونجاساتهم . فبذلك يشترك الناموس المكتوب مع الناموس الشفاهى فى إنارة الفكر الانسانى وتهذيب الضمير الاجتماعى الدينى .

وهنا أيضا قد يعترض البعض بانه بعد نزول الشريعة الموسوية ليس هناك مجال للتقليدات الاخرى ، خصوصا وأن موسى قد أوصى فى سفر التثنية قائلا « لا تزيدوا على الكلام الذى أنا أوصيكم به ولا تنقصوا منه ... » (تث ٤ : ٢) . وكذلك ما ورد فى سفر الرؤيا اذ يقول « ان كان أحد يزيد على هذا يزيد الله عليه الضربات المكتوبة فى هذا الكتاب .. » (رؤ٢٢ : ١٨) .

ولكن هاتين الآيتين لاتعنيان سوى التحذير من التغيير فى هذين الكتابين سواء بالاضافة أو بالحذف ، ولكنهما لا تعنيان اطلاقا عدم امكانية وجود كتب اخرى أو تقاليد الى جوارهما . والا فما موقف باقى الأسفار التى كتبت بعد شريعة موسى سواء التاريخية منها كسفر يشوع والقضاة وصموئيل الاول والثانى والملوك الاول والثانى والاخبار الاول والثانى ... الخ . أو الاسفار الشعرية كالمزامير والامثال والجامعة ونشيد الانشاد وسفر أيوب وسفر يشوع بن سيراخ وكتب الأنبياء الكبار والصغار مثل أشعياء وأرميا وحزقيال ودانيال وهوشع وباروخ وميخا .. الخ . وكذلك أيضا ما هو الموقف بالنسبة لسائر أسفار العهد الجديد كلها ؟!..

فى الحقيقة إن عمل التقليد لم يتوقف قط حتى بعد نزول الشريعة الموسوية ، بدليل أن أباءنا الرسل قد استشهدوا فى كتاباتهم فى العهد الجديد بحوادث وردت فى التقليد اليهودى الشفاهى ولم يرد ذكرها قط فى كتب العهد القديم ، وسجلوها

فى كتاباتهم على أنها حقائق ايمانية ثابتة لها نفس قوة المكتوب لأنها تقاليد مقدسة شفاهية الهية تسلمتها كنيسة العهد القديم .

فيذكر معلمنا يهوذا الرسول فى رسالته قصة عن دفن موسى يشير فيها الى حادثة لم يسبق ذكرها فى كتب العهد القديم وهى أن ابليس أراد أن يظهر جسد موسى للشعب اليهودى ، ولم يكن ذلك الأمر موافقا لارادة الله تعالى خشية أن يزوغ الشعب من وراء الله ويؤلهوا موسى ويعبدوا جسده . لذلك أرسل الله ميخائيل رئيس الملائكة لاخفاء الجسد عن الشعب ، وحدثت مخاصمة بين ميخائيل وإبليس الذى يريد إظهار الجسد . ولكن ميخائيل استطاع ان يقهر الشيطان ، لا بحكم افتراء ، بل بقوة مشيئة الله التى جاء لينفذها ، فقال للشيطان لينتهرك الرب . وهكذا انحدر الشيطان مخزيا ، واستمر جسد موسى مخفيا .

عن هذه القصة المسلمة بالتقليد فى كنيسة العهد القديم والمعروفة لدى المؤمنين يكتب معلمنا يهوذا فى رسالته مشيرا الى اتضاع ميخائيل وعدم افترائه واضعا تصرفه قدوة للمؤمنين فيقول « وأما ميخائيل رئيس الملائكة فلما خاصم ابليس محاجا عن جسد موسى لم يجسر أن يورد حكم افتراء بل قال لينتهرك الرب » (يه٩) .

كذلك أيضا أورد معلمنا يهوذا الرسول فى نفس الرسالة نبوءة جميلة لأب الآباء أخنوخ لم يرد عنها أى أشارة فى كتب العهد القديم وانما كانت معروفة ومتداولة بالتقليد المقدس الشفاهى فى

كنيسة العهد القديم ، فسجلها فى رسالته قائلا « وتنبأ عن هؤلاء أيضا أخنوخ السابع من آدم قائلا هوذا قد جاء الرب فى ربوات قديسيه ليصنع دينونة على الجميع ويعاقب جميع فجارهم على جميع اعمال فجورهم التى فجروا بها ، وعلى جميع الكلمات الصعبة التى تكلم بها عليه خطاة فجار » (يه١٤ ، ١٥) .

كذلك يكتب معلمنا بولس الرسول فى رسالته الثانية الى تلميذه تيموثاوس محذرا اياه من أناس لهم صورة التقوى ولكنهم منكرون قوتها ويقاومون الحق ويشبههم بينيس ويمبريس اللذين قاوما موسى فيقول « وكما قاوم ينيس ويمبريس موسى كذلك هؤلاء أيضا يقاومون الحق ... » (٢تى٣ : ٨) . فبينما أن هذين الاسمين ينيس ويمبريس معروفان بالنسبة لتيموثاوس والمؤمنين لأن بولس يشبه بهما كل من يقاومون الحق فاننا لا نجد لاسميهما ذكرا فى كتب العهد القديم . فلابد أن قصتهما قد انتشرت فى كنيسة العهد القديم عن طريق التقليد الشفاهى واعتمدها بولس الرسول لانها تقليد شفوى مقدس له نفس قوة المكتوب فاستشهد بها فى كتاباته .

نستخلص من كل ما سبق أن المسيحية ديانة تقليد :

أولا : لأن التقليد طريق السيد المسيح فى الكرازة .

ثانيا : لأن التقليد هو طريق الرسل أيضا فى الكرازة .

ثالثا : لأن التقليد هو طريق الله منذ ابتداء الخليقة فى توصيل وصاياه وحفظها سواء قبل نزول الشريعة الموسوية أو بعدها

أهمية التقليد المقدس

لاغنى للكنيسة اطلاقا عن تقليدها المقدس الذى تسلمته من الرب وحفظته فى أجيالها ، فهو مصدر ايمانها الحى وسر قوتها ووحدتها على مدى الاجيال .

فالتقليد الرسولى الكنسى هو الحافظ لتراث الكنيسة الحى ، فإنه :

أولا : هو الذى يشهد للكتاب المقدس :

فعن طريق التقليد قد عرفنا أسفار الكتاب المقدس القانونية ، وعرفنا أسماء كاتبيها ، واستطعنا بواسطة شهادة التقليد والصوت الجماعى الواحد لجميع آباء الكنيسة فى كل الأجيال أن نميز بينها وبين الأسفار الاخرى المزورة التى كتبها الهراطقة فى أجيال مختلفة ليدسوا فيها بدعهم المهلكة . وحتى يستطيعوا نشرها ، صدّروها بأسماء براقة بأن نسبوها زورا الى الرسل . ومن تلك الاسفار المزورة نذكر على سبيل المثال انجيل العبرانيين وانجيل المصريين وانجيل الابيونيين وانجيل نيقوديموس وانجيل بطرس وانجيل توما وانجيل برنابا وانجيل الطفولية ... وسفر رؤيا بطرس وسفر كرازة بطرس وسفر أعمال بطرس وسفر أعمال بولس ... الخ .

عن طريق التقليد فقط نستطيع أن نعرف أسفار الكتاب المقدس الحقيقية وعددها واسماء كاتبيها وزمان كتابتها وتفاصيل ما جاء فيها .

لأن قديسى الكنيسة فى كل زمان يحفظون الاسفار المقدسة ويستخدمونها فى صلواتهم وعباداتهم ويستشهدون بها فى أقوالهم وكتاباتهم ، ولأنهم كانوا يحفظون آيات الكتاب عن ظهر القلب جاءت كتاباتهم ذاخرة بما تحتويه من آيات الكتاب المقدس لدرجة جعلت علماء الباترولوجيا (علم أقوال الأباء) يقررون أنه لو كانت أسفار الكتاب المقدس غير موجودة بأيدينا الآن لاستطعنا أن نجمع ما جاء فيها حرفا حرفا وذلك بتجميع ما جاء من الآيات فى أقوال الآباء القديسين وكتاباتهم وتفاسيرهم العديدة .

شهادات آباء الكنيسة عن أسفار الكتاب المقدس عديدة تفوق الحصر ، ولا يمكننا أن نسرد جميعها هنا ، وانما نكتفى بسرد القليل منها لضيق المقام .

يقول القديس أوغسطينوس : « يوجد حد واضح يفصل كل الكتابات التالية للازمنة الرسولية عن الكتب ذات السلطان القانونى للعهدين القديم والجديد . وقد انحدر الينا سلطان هذه الكتب من الرسل خلال تعاقب الاساقفة وامتداد الكنيسة . وبسبب سمو مكانة هذا السلطان ونفوذه يلتزم كل مؤمن وكل فكر تقى بالخضوع له . الكتاب المقدس له قدسية خاصة به ، وبسبب هذه الميزة القائمة

فى كل الاسفار المقدسة فنحن ملتزمون أن نقبل كل ما تقدمه لنا أقوال الأسفار القانونية سواء كان بفم نبى أو إنجيلى » (فى كتابه ضد فاستوم ١١:٥) .

ويقول أيضا « أما من جهتى فأنا لا أؤمن بالانجيل إلا كما يوجهه سلطان الكنيسة » .

(Contra epist. Manichae quam V Cant Fundamenti 6) .

ويقول القديس سرابيون أسقف أنطاكية ــ مفندا الكتاب المزور المنسوب لبطرس باسم انجيل بطرس ــ « لأننا أيها الاخوة نقبل كلا من بطرس وسائر الرسل كرسل المسيح . ولكننا نرفض بشدة الكتابات المنسوبة اليهم زورا ، عالمين ان مثل هذه لم تسلم الينا » (تاريخ الكنيسة ليوسابيوس ك ٦ ف ١٢ :٣) .

فالتقليد اذن هو الذى يشهد للكتاب المقدس ويعرفنا بأسفاره القانونية . كما أنه :

ثانيا : هو الذى يشرح لنا الكتاب المقدس ، ويقدم تفسيرا قانونيا وبخاصة للآيات « العسرة الفهم » « التى يحرفها غير العلماء وغير الثابتين كباقى الكتب أيضا لهلاك أنفسهم » (٢ بط٣ :١٦) . فلدينا الكثير جدا من تفاسير الآباء وشروحاتهم التى كتبوها عن الاسفار المقدسة . وبرغم أنهم كتبوها فى عصور مختلفة وبلدان مختلفة الا أنها تتميز جميعها بنفس الروح الواحد . لأن جميعهم

استقوا تعليمهم من ذات النبع الواحد ألا وهو تعليم الرسل ، والتزموا فى شروحاتهم حدود التقاليد المسلمة اليهم .

فإن الرسل الذين كتبوا الأسفار هم أنفسهم الذين كانوا يشرحونها ويفسرون ما كان يبدو منها عسير الفهم على المؤمنين . وقد انتشرت تلك التفاسير الرسولية الشفاهية فى الكنيسة جيلا بعد جيل الى أن سجلها آباء الكنيسة المفسرون فى تفاسيرهم وشروحاتهم التى كتبوها .

لهذا فقد جاءت جميع كتابات الآباء تتميز بالطابع الرسولى والايمان الأرتودكسى ، كما تتصف بالخلو من الشطط والانحراف ، وتتميز بالنقاء التام من كل تعليم غريب .

ونسجل هنا مثلا رائعا لذلك المبدأ الأرتودكسى فى التفسير ألا وهو الاهتمام بتسجيل أقوال الرسل . ذلك ما كتبه القديس **بابياس** أحد الآباء الذين عاشوا فى القرن الثانى للميلاد فى مقدمة كتابه « تفسير اقوال الرب » : حيث يقول « ولكننى لا أتردد أيضا أن أضع أمامكم مع تفسيرى كل ما تعلمته بحرص من الشيوخ (الذين رأوا الرسل) ، وكل ما أذكره بحرص ضامنا لصحته . لأنى لم ألتذ كالكثيرين بمن يتكلمون كثيرا ، بل بمن يعلمون الحق . لم ألتذ بمن يقدمون وصايا غريبة بل بمن يقدمون وصايا الرب للايمان الصادر من الحق نفسه . وكلما أتى أحد ممن كان يتبع الشيوخ (الذين

رأوا الرسل) سألته عن أقوالهم ، عما قاله أندراوس أو بطرس ، عما قاله فيلبس أو توما أو يعقوب أو يوحنا أو متى أو واحد آخر من تلاميذ الرب . لأنى لا أعتقد أن ما نحصل عليه من الكتب يفيدنى بقدر ما يصل من الصوت الحى الدائم » (تاريخ الكنيسة ليوسابيوس ك ٣ ف ٣٩ : ٣ ، ٤) .

هذا هو المبدأ الأرتودكسى فى التفسير أن يستقصى المفسر عن شروحات وتعاليم الرسل أنفسهم ممثلة فى أقوال وتفاسير سابقيه من معلمى الكنيسة . ذلك ما يصون الايمان ويحميه من الابتداع . فلو فتشنا عن أسباب الهرطقات فى مختلف العصور لوجدنا أن أصحابها حتى وإن كانوا من بين المؤمنين لكنهم هلكوا لعدم فهمهم آيات الكتاب وابتداعهم تفاسير خاطئة تشوبها فلسفات غريبة وتمليها عليهم أهواؤهم الخاصة وأفكارهم المنحرفة . ذلك لأنهم اذ قد امتلأوا بروح الكبرياء لم يعبأوا بتفاسير الرسل التى يحفظها تقليد الكنيسة الحى .

أمثال هؤلاء من الهراطقة يظهرون فى الكنيسة فى كل جيل منذ العصر الرسولى نفسه والى جيلنا هذا . ففى سفر الرؤيا يخاطب الرب ملاك كنيسة برغامس قائلا : « هكذا عندك أنت أيضا قوم متمسكون بتعليم النيقولاويين الذى أبغضه » (رؤ ٢ : ١٥) . ومن أمثال أولئك الهراطقة يحذرنا معلمنا بطرس الرسول قائلا : « ولكن كان أيضا فى الشعب أنبياء كذبة كما سيكون فيكم أيضا معلمون

كذبة الذين يدسون بدع هلاك . واذ هم ينكرون الرب الذى اشتراهم يجلبون على أنفسهم هلاكا سريعا . وسيتبع كثيرون تهلكاتهم » (٢بط٢ :١ ، ٢) . « فأنتم أيها الاحباء ... احترسوا من أن تنقادوا بضلال الأردياء فتسقطوا من ثباتكم » (٢بط٣ :١٧) .

كذلك معلمنا بولس الرسول يحذرنا من الهراطقة الذين ينسبون أنفسهم للكنيسة قائلا « لأن مثل هؤلاء هم رسل كذبة فعلة ماكرون مغيرون شكلهم الى شبه رسل المسيح » (٢كو١١ :١٣) .

ويشرح لتلميذه تيموتاوس سبب ظهور تلك الهرطقات بأن أصحابها ، بروح الكبرياء ، يتركون تعليم الرسل الذى هو كلمات الرب ، ويتمسكون بفلسفات باطلة ، ويتظاهرون بالعلم بينما هم فى الحقيقة جهلاء فيقول : « ان كان أحد يعلم تعليما آخر ولا يوافق كلمات ربنا يسوع المسيح الصحيحة والتعليم الذى هو حسب التقوى فقد تصلف وهو لا يفهم شيئا » (١تى٦ :٣ ، ٤) .

ويقول له أيضا « يا تيموتاوس احفظ الوديعة معرضا عن الكلام الباطل الدنس ومخالفات العلم الكاذب الاسم الذى اذا تظاهر به قوم زاغوا من جهة الايمان » (١تى٦ :٢٠ ، ٢١) .

كما أنه قد نبه المؤمنين ألا ينزعجوا حينما تنتشر تلك الهرطقات بصورة مرعبة « لأنه سيكون وقت لا يحتملون فيه التعليم الصحيح بل حسب شهواتهم الخاصة يجمعون لهم معلمين » (٢تى٤ :٣) .

لهذا فقد كان مبدأ حكيما من الكنيسة أن تنبذ بشدة كل تعليم وكل تفسير لا يتفق مع التسليم الرسولى . وبذلك استطاعت أن تبتر من جسمها كل أصحاب الهرطقات فى مختلف العصور وتدحض هرطقاتهم وتحتفظ بالايمان الرسولى المستقيم . وهى تفعل ذلك وفقا لتعليم الرسل أيضا . فمعلمنا بولس الرسول يقول لتلميذه تيطس « الرجل المبتدع بعد الانذار مرة ومرتين اعرض عنه عالما أن مثل هذا قد انحرف وهو يخطىء محكوما عليه من نفسه » (تى٣ :١٠ـــ١١) . كذلك معلمنا يوحنا رسول المحبة يقول « ان كان أحد يأتيكم ولا يجىء بهذا التعليم فلا تقبلوه فى البيت ولا تقولوا له سلام لأن من يسلم عليه يشترك فى أعماله الشريرة » (٢يو١٠ ، ١١) .

إن مبدأ الالتزام بالتسليم والتعليم الرسولى فى التفسير مبدأ أرتودكسى حكيم . لذلك فالكنيسة الارتودكسية تؤمن بأن ليس من حق كل إنسان أن يفسر آيات الكتاب المقدس حسبما يشاء ووفقا لهواه ، بل لابد أن يلتزم فى تفسيره بروح الآباء وتعليم الرسل . وبذلك استطاعت الكنيسة ان تحتفظ بوحدانيتها وروحانيتها وأرتودكسيتها .

احتفظت بوحدانية الروح واستقامة التعليم .. بينما أن أولئك الذين يرفضون التسليم الرسولى ولا يلتزمون به وينادون بمبدأ أحقية كل انسان فى تفسير الكتاب المقدس حسبما يشاء أو حسبما يلهمه (الروح) — كما يقولون — دون تقيد برأى السابقين وتسليم الحواريين ، بل فقط حسبما يتراءى له وحسبما يرشده (الروح) ، وجدنا أن أولئك قد انقسموا وتفرقوا الى شيع عديدة تصل فى عددها الى بضع مئات . فهل انقسم المسيح على نفسه ؟!. وهل لو كانوا حقاً مسوقين بالروح القدس فى تفاسيرهم — كما يدّعون — أما كانوا يحتفظون بوحدانية التعليم ؟! لأن الروح القدس هو واحد . فهل يمكن أن ننسب آراء كل فريق منهم التى تتعارض مع باقى الفرق بصورة جعلت من كل منهم مذهباً قائما بذاته ، هل يمكن أن ننسب كل ذلك الى الروح الواحد ؟!!. كلاّ .. فالروح القدس لا ينقسم على ذاته ، ولا يعلم تعاليما متباينة تتعارض مع بعضها البعض وتناقض بعضها البعض . وبالتالى فلا يمكن أن تعتبر تلك الشيع المتباينة كنائس ، لأن كنيسة المسيح الحقيقية تتميز بأنها « جسد واحد وروح واحد .. رب واحد ، ايمان واحد ، معمودية واحدة » (أف٤ :٤ — ٥) .

لذلك فان كنيستنا المقدسة تعتز بالتقليد الرسولى لأنه :
أولا :هو الذى يشهد للكتاب المقدس .
ثانيا : هو الذى يشرح لنا آيات الكتاب المقدس .

ثالثا : هو الذى حفظ لنا الايمان الأرتودكسى .

فعن طريق التقليد تسلمنا الإيمان حياً ونقياً ، واستطاع آباء الكنيسة عن طريق معرفتهم بالايمان الرسولى المستقيم أن يفرزوا كل التعاليم الغريبة ويدحضوها فى المجامع ، سواء المكانية أو المسكونية ، محتفظين لنا بالايمان الرسولى نقيا كما تسلموه ، مسجلين اياه فى قانون الايمان وسائر التحديدات الايمانية وقرارات تلك المجامع القانونية . فكيف كان لهم أن يقدروا على تمييز تلك التعاليم الغريبة ودحضها لولا أن الايمان الحقيقى كان موجودا بالفعل وواضحاً ومعروفا بالتقليد المقدس فثبتوه فى تلك المجامع ؟

فالحقيقة أنه كما قال القديس إيريناوس أحد آباء القرن الثانى للميلاد وتلميذ القديس بوليكربوس الرسولى « ان الرسل قد جعلوا الكنيسة خزانة الحق الوافرة ، وكل ما هو مختص به سلموه اليها بجملته » (تفسيره على ٢تى١ :١٤) . وكما قال القديس باسيليوس أيضا فى القرن الرابع « ان الاعتقادات والكرازات المحفوظة فى الكنيسة منها ما هو مأخوذ عن التعليم المكتوب ومنها ما قد قبلناه مفصلا من تقليد الرسل ، وكلا الأمرين له قوة فى العبادة » (تفسيره على ٢تس٣:٦) .

كذلك فان التقليد :

رابعا : هو الذى شرح لنا طقوس الكنيسة وتفاصيل أنظمة العبادة المسيحية كلها :

فالتقليد الرسولى هو الذى شرح لنا .

١ ـــ **مجد يوم الاحد** وكيف صار يوم الأحد هو عيدنا الاسبوعى الأول لأن مجده قد فاق مجد السبت . حقا هنالك اشارات عديدة فى الكتاب المقدس تدل على ظهور مجد يوم الأحد لكنه لا يوجد نص كتابى واحد صريح يدل أن يوم الاحد فى المسيحية هو السبت الجديد وأنه هو اليوم المكرس للعبادة المسيحية .. وانما قد عرفنا ذلك عن طريق التقليد الرسولى واجماع الكنيسة منذ البداية على تقديس يوم الأحد والتفرغ فيه من سائر الاعمال العالمية **وتكريسه للعبادة الجمهورية فى الكنيسة** .

راجع قوانين الرسل الخاصة بشرح مجد يوم الاحد وتكريسه للعبادة ، وما ينبغى على المؤمنين أن يعملوه فيه ، وما ينبغى عليهم ألا يعملوه كمثل القانون ٦٥ من الكتاب الأول من قوانين الرسل ، والقانون ٢١ من الكتاب الاول من قوانين الرسل ، والقانون ٤٥ من الكتاب الثانى من قوانين الرسل ، وكذلك القانون العشرين من قوانين مجمع نيقيه المنعقد سنة ٣٢٥م ، والقانون ٢٩ من قوانين مجمع اللاذقية سنة ٣٦٤م ، وقرارات مجمع قرطاجنة المكانى سنة ٤١٩م ، وكذلك القانون الأول من قوانين البابا تاوفيلس البطريرك الاسكندرى والقانون الثالث عشر فى قوانين البابا تيموتاوس الثانى

والعشرين . وكذلك القانون ٩١ من قوانين القديس باسيليوس ، وكذلك كتابه عن الروح القدس فصل ٢٧ . كذلك أقوال القديس أوغسطينوس فى رسالته الى جانيورى . والقديس جيروم فى خطاب له ضد لوسيفيريانس ... وغير ذلك مما لايمكن حصره من أقوال الآباء عن يوم الأحد وكرامته وقوانينهم بشأنه .

٢ ـــ التقليد الرسولى شرح لنا أيضا **تفاصيل ممارسة طقوس الأسرار فى الكنيسة** .فهو الذى شرح لنا الاجراءات التى تتخذ بشأن الموعوظين وخطوات ممارسة **سر التعميد** من تقديس مياه المعمودية ، واجراءات المسح بدهن الموعوظين ، وطقس جحد الشيطان ، والاعتراف بالايمان المسيحى .. والتغطيس ثلاث مرات باسم الآب والابن والروح القدس .. الخ .. كذلك أيضا عن طريق التقليد تسلمنا **وجوب تعميد الأطفال** وإن كان حقا توجد أدلة وشواهد فى الكتاب المقدس عن ذلك لكنها ضمنية غير مباشرة فلا يوجد نص كتابى صريح يؤكد وجوب تعميد الأطفال . فلو لم نتسلم ذلك الامر بالتقليد من الرسل أنفسهم لكان ممكنا أن تصبح كلمات السيد : « من آمن واعتمد خلص ومن لم يؤمن يدن » التى تشترط الايمان قبل العماد عقبة فى طريق تعميد الأطفال لعدم بلوغهم سن إدراك الايمان . ولكن طقس تعميد الأطفال معروف فى جميع الكنائس الرسولية ومشهود له من جميع آباء الكنيسة منذ فجر العصر الرسولى ، ومؤيد بشواهد كتابية ، حتى أن أغلب الطوائف البروتستانتية بينما تنكر التقليد تمارس تعميد

الأطفال . وإذ نحتاج لمئات الآلاف من الصحائف لتسجيل كل ما جاء فى أقوال الآباء القديسين بشأن جميع طقوس الكنيسة واثبات انحدار ترتيباتها كنسيا من العصر الرسولى وسرد تفاصيل ممارسة كل طقس وصلاة .. الخ .. فاننا ههنا لضيق المقام نكتفى بالاشارة فقط الى تلك الطقوس .

فنذكر طقس سر **مسحة الميرون** وطريقة ممارسته ومن لهم الحق فى ذلك وكذلك تاريخ الزيت وطريقة تقديسه .. الخ ..

كذلك أيضا طقس سر **التوبة** وتفاصيل طرق ممارسته ..

كذلك طقس سر **ذبيحة الأوخارستيا** وصلوات القداس الالهى والصفات العامة فى ترتيب صلوات القداس .. والتناول من الاسرار المقدسة والاستعداد له .

وأيضا طقس سر **مسحة المرضى** وطرق ممارسته وصلواته .. الخ ..

كذلك أيضا طقس سر **الزواج** وطرق ممارسته ...

وفى هذا المجال نذكر كيف أن **وحدة الزيجة** فى المسيحية تقليد رسولى مقدس اجمعت عليه الكنيسة منذ عصرها الرسولى بحسب تعليم الرب يسوع نفسه . **ولا يختلف بشأنه أحد ، مع أنه لا يوجد نص كتابى صريح يوجب الالتزام بالزوجة الواحدة وينص على ابطال تعدد الزوجات ويمنعه** . وانما توجد فقط إشارات ودلائل

غير مباشرة قد لا تكون وحدها كافية لتفسير ذلك الاجماع العام بين المسيحين ، لولا أن صوت التقليد الكنسى واضح وقوى ينص ويشهد ويعلم بذلك .

كذلك أيضا الطقوس الخاصة بسر **الكهنوت** ودرجاته والشروط الواجب توافرها فى المتقدمين لكل درجة وطريقة الاختيار .. وطقوس الرسامة .. وحدود اختصاصات كل رتبة .. الخ .

٣ — **كذلك الطقوس الخاصة بالكنيسة** ومبانيها وأقسامها ومحتوياتها وأوانى الخدمة فيها ، وأنظمتها المختلفة .. وطقوس **الصلوات والاصوام والمطانيات والأعياد ، كذلك القراءات الكنسية** فى مختلف فصول السنة .. الخ .

٤ — **كذلك مبدأ اتجاهنا فى كل صلواتنا جهة الشرق** وأثر ذلك فى بناء كنائسنا وجعل الهياكل فيها جهة الشرق ..

٥ — كذلك **طقس (طريقة) رشم الصليب والقوة التى نستمدها من ممارسة ذلك بتواتر** ،كذلك وضع أيقونة الصليب موضع الاكرام والافتخار وفى مركز الصدارة سواء فى كنائسنا أو بيوتنا أو أجسادنا .. (راجع ١كو١ :١٨ ، غل ٣ : ١، ٦ : ١٤ . كذلك القانون ٤٧ من الكتاب الأول لقوانين الرسل والقانون ٣٩ من قوانين أبوليدس — بالاضافة الى ذلك أقوال الآباء العديدة عن

الصليب وقوته التى كانت مجال تأملاتهم الغنية واختباراتهم العملية وكتاباتهم الروحية العديدة) .

٦ ـــ كذلك أيضا **طقس الاحتفال بالصلاة على الراقدين قبل دفنهم واقامة التذكارات لهم** . هو طقس رسولى تسلمناه بالتقليد . وقد نصت عليه تعاليم الرسل فى الباب الثالث والثلاثين من كتاب الدسقولية ، وكذلك القانون التاسع والستون من الكتاب الاول من قوانين الرسل ، والقانون ٤٣ ، ٣٣ من قوانين أبوليدس . وعلاوة على ذلك هناك العديد من أقوال الآباء فى ذلك الشأن .. وحتى البروتستانت أنفسهم يمارسون الصلاة على الراقدين قبل دفنهم !! محاكاة للتقليد الكنسى مع أنهم فى نفس الوقت ينكرون قيمة تلك الصلوات !!

فى الحقيقة إن كل طقوس الكنيسة ترجع فى أصولها الى التقليد الرسولى نفسه ، والى تنظيمات آباء الكنيسة القدامى الملهمين بالروح القدس الذين وضعوا تلك النظم وسجلوها وفقا لما تسلموه من تعاليم الرسل .

والخلاصة : تتضح أهمية التقليد المقدس فى أنه :

١ ـــ هو الذى يشهد للكتاب المقدس ..
٢ ـــ هو الذى يشرح لنا الكتاب المقدس ..
٣ ـــ هو الذى حفظ لنا الايمان الأرتوذكسى ..
٤ ـــ هو الذى شرح لنا طقوس الكنيسة وأنظمة العبادة المختلفة .

الوسائط التى حفظت لنا التقليد المقدس

بعد أن تبين لنا كيف أن التقليد المقدس هو الايمان الحى بربنا يسوع المسيح ، وأنه يشتمل على كل معارف الكنيسة بشخصه المبارك ، وكل الطقوس الالهية الخاصة بعبادته تعالى ، نستطيع أن ندرك مقدار اعتزاز آباءالكنيسة بتقليداتها المقدسة ، وحرصهم الشديد على تسليمها بدون تحريف أو تغيير من جيل الى جيل ، لأنها الايمان الحى بذاته . وكذلك نستطيع أن نعرف كيف وصل الينا التقليد المقدس خاليا من كل شائبة .

أولا : لأن الكنيسة بذاتها ممثلة فى معلميها قد حافظت على التعاليم الالهية والتسليمات الرسولية :

واستطاعت أن تفعل ذلك بواسطة تسلسل الخلافة الرسولية وتتابع الأساقفة فيها . حيث أن نظام الكهنوت المسيحى يرتبط أشد الارتباط بتلك التقاليد المقدسة ، بل إنه قائم ومؤسس من الله لممارستها وحفظها ونشرها . لأن التقاليد كما قلنا تحوى كل إيمان الكنيسة وكل طقوسها .

ولكى نوضح مدى حرص الكنيسة على الاحتفاظ بالتقليد سليما نذكر على سبيل المثال بعض أقوال آباء العصر الرسولى التى توضح مدى الدقة والأمانة فى حفظ التقليد الرسولى ونقله سليما .

يروى القديس ايريناوس من اباء القرن الثانى للميلاد عن معلمه القديس بوليكربوس الرسولى فيقول « أما بوليكربوس فإنه لم يتلق تعليمه من الرسل فقط ويتعرف على الكثيرين ممن رأوا المسيح ، بل إن الرسل أيضا أقاموه فى آسيا أسقفا على كنيسة أزمير ، ونحن أيضا رأيناه فى فجر شبابنا لأنه عمّر كثيرا ومات فى شيخوخة متقدمة جدا ميتة استشهاد مجيد **بعد أن نادى بصفة مستمرة بما تعلمه من الرسل من التعاليم التى سلمتها الينا أيضا الكنيسة ، والحقيقة دون سواها** » .

(تاريخ الكنيسة ليوسابيوس ك ٤ ف ١٤ : ٣ ،٤)

ويقول عنه أيضا « فى امكانى وصف نفس المكان الذى كان يجلس فيه المغبوط بوليكاربوس وهو يلقى أحاديثه ، ودخوله وخروجه ، وطريقة حياته وهيئة جسمه ، وأحاديثه للشعب والوصف الذى قدمه عن عشرته ليوحنا والآخرين الذين رأوا الرب . ولأن بوليكاربوس كان متذكرا كلماتهم (كلمات الرسل) وما سمعه منهم عن الرب وعن معجزاته وتعاليمه لاستلامها من شهود شهدوا بأعينهم كلمة الحياة **فقد روى كل شىء بما يتفق مع الاسفار المقدسة ، واذ رويت الى هذه الأمور برحمة الله أصغيت اليها بانتباه مسجلا إياها لا فى ورق بل فى قلبى وصرت أرددها على الدوام بأمانة بنعمة الله ...** » (تاريخ الكنيسة ليوسابيوس ك ٥ ف ٢٠ :٦ — ٧) .

ويشرح القديس ايريناوس أيضا كيف تحتفظ الكنيسة بتقاليدها صافية نقية فيقول « المعرفة الحقيقية قائمة فى تعليم الرسل وقيام الكنيسة فى العالم كله ، وفى امتياز استعلان جسد المسيح بواسطة تتابع الأساقفة الذين أعطوا الكنيسة القائمة فى كل مكان أن تكون محروسة ومصانة دون أى تزييف أو ابتداع فى الاسفار بسبب طريقة التعليم الكاملة والمتقنة التى لم تستهدف لاى اضافة أو حذف ، وذلك بقراءتها بغير تزوير مع مواظبة شرحها باجتهاد بطريقة قانونية تلتزم بالاسفار دون أى خطورة من جهة التجديف ، وبواسطة المحبة الفائقة التى هى أكثر قيمة من المعرفة وأعظم من النبوة والتى تفوق كل ما عداها من المواهب »

. *(Adver. Haer. IV, 33-8, II, 11)*

بنفس ذلك الحرص والتدقيق الذى لآباء الكنيسة استطعنا أن نستلم أسفار الكتاب المقدس معصومة من أى تحريف و كذلك أيضا تعاليم الرسل (الدسقولية) وقوانينهم .

ثانيا : أقوال آباء الكنيسة القدامى وكتاباتهم :

خصوصا الآباء الرسوليين فى الجيل الأول والثانى للميلاد وكذلك آباء الجيل الثالث والرابع والخامس للميلاد ، وذلك لقربهم من العهد الرسولى ، ولاشتمال مؤلفاتهم على أقوال وتعاليم الرسل المتداولة فى الكنيسة بالتقليد الشفاهى .

ولكى نؤكد مدى حرص هؤلاء الآباء على أن تكون مؤلفاتهم

سواء العقيدية منها أو التفسيرية أو الوعظية أو التأملية .. الخ . حاوية لأقوال الرسل ، نسجل هنا ما كتبه **القديس اكليمندس** مدير المدرسة اللاهوتية الاسكندرية فى القرن الثانى للميلاد فى مقدمة كتابه (**الأنسجة**) فيكتب قائلا « ليس هذا المؤلف كتابا كتب لمجرد التظاهر ولكن ملاحظاتى قد ادخرت لزمن الشيخوخة خشية النسيان ، هى صورة لم تمسها يد الفنان ، وهى مجرد تسجيل بسيط غير منمق للكلمات القوية الحية التى كان لى حظ سماعها ، وتصوير لأشخاص مباركين بارزين (يتكلم عن خلفاء الرسل الذين قابلهم) ... » ثم يقول « **وقد حافظ هؤلاء الأشخاص على التقليد الحقيقى للتعليم المبارك المسلم مباشرة من الرسل المقدسين بطرس ويعقوب ويوحنا وبولس ، اذ كان الابن يتسلمه عن أبيه حتى وصل الينا بارادة الله لنحافظ على هذه البذار الرسولية** » .

(تاريخ الكنيسة ليوسابيوس ك ٥ ف ١١ :٣ ،٥) .

كذلك ما قاله **القديس باباس** أحد الآباء فى القرن الثانى للميلاد فى كتابه « تفسير أقوال الرب » « ولكننى لا أتردد أيضا أن أضع أمامكم مع تفسيرى كل ما تعلمته بحرص من الشيوخ (الذين رأوا الرسل) وكل ما أذكره بحرص ضامنا اصحته ، لانى لم ألتذ كالكثيرين بمن يتكلمون كثيرا ، بل بمن يعلمون الحق . لم ألتذ بمن يقدمون وصايا غريبة بل بمن يقدمون وصايا الرب للايمان الصادر من الحق نفسه » .

(تاريخ الكنيسة ليوسابيوس ك ٣ ف ٣٩ :٣)

لذلك فنحن نعتز بأقوال آباء الكنيسة القديسين وكتاباتهم لأنها فى الواقع تسجيلات لتعاليم الرب نفسه كما سلمها لرسله القديسين .

ثالثا : كتابات مؤرخى الكنيسة القدامى الثقاة أمثال يوسابيوس وسقراط وسوزمين الذين حرصوا على تسجيل تفاصيل تاريخ الكنيسة الأولى ، واشتملت كتاباتهم التاريخية على الكثير من أقوال وكتابات آباء الكنيسة السابقين لهم فى الزمان ، ومن هنا تظهر أهمية تلك التواريخ فى أنها قد أوصلت الينا الكثير من كتابات قديسى الكنيسة التى تكون قد فقدت فى عصور الاضطهاد الشديد . وبذلك فقد حفظت لنا هذه التواريخ تراثا رسوليا كنسيا حيا .

رابعا : تحديدات وقوانين المجامع المقدسة :

سواء المجامع المكانية التى انعقدت فى الاربعة القرون الاولى أو المجامع المسكونية الثلاثة التى انعقدت لبحث مشاكل أو لدحض بدع وهرطقات ، فانها استطاعت أن تعطى حلولا للمشكلات وفقا للتعليم الرسولى الثابت فى الكنيسة .

كما أنها استطاعت أن تدحض تلك البدع والهرطقات وتظهر فسادها ، وتثبت مفاهيم الايمان المستقيم فى تحديدات لفظية ثابتة وقوانين ايمانية مقدسة حظت بالتمسك التام والاقرار الكنسى الجماعى فى جميع الاجيال التالية لتلك المجامع .

فنحن فى جميع صلواتنا نردد دائما قانون الايمان الذى تثبت فى

مجمع نيقية سنة ٣٢٥م وأكمل فى مجمع القسطنطينية سنة ٣٨١م لأنه فى الحقيقة تلخيص واف لعقيدة الكنيسة التى تسلمتها من الرسل بشأن ايمانها بلاهوت السيد المسيح والروح القدس .. وتحديد لذلك الايمان فى مفاهيم وألفاظ ثابتة لا تسمح بأى تغيير أو تحوير .

لذلك فان قوانين المجامع المقدسة تضاف الى تراث الكنيسة الحى وتعتبر حافظة للتقليد الرسولى سليما من كل محاولات المبتدعين وهى بحق تراث رسولى من جهة أنها تحديد مكتوب للايمان الرسولى الشفاهى .

خامسا : صلوات الكنيسة وطقوسها :

تعد بحق احدى الوسائط الهامة التى حفظت لنا التقليد الكنسى . فاذا درسنا الليتوجيات القديمة فى الكنائس الرسولية وجدنا أنها .

(أ) تتشابه فى التقسيم العام لصلوات القداس ، وأنها تشتمل على مقدمات لصلاة القداس ثم الجزء التعليمى ثم الجزء الخاص بالتقديس متفقة فى تفاصيلها مع ما جاء فى (أع ٢ :٤٢) وفى الدسقولية (فصل ١٠ ،٣٨) والقانون ٥٢ من الكتاب الاول من قوانين الرسل .

(ب) كذلك فان رفع البخور وتقديم الحمل فى بداية جميع الليتورجيات يتفق مع ما جاء بالدسقولية (باب٢٣ ،٣٨) .

(جـ) كما أن طقس مزج الخمر فى الكاس بماء ، ولئن لم ينص عليه صراحة فى الكتاب المقدس ، لكن جميع الليتورجيات قد نصت عليه وتنسبه صراحة للسيد المسيح وتتفق معها فى ذلك أقوال الآباء أمثال القديس يوستينوس الشهيد (الدفاع الأول فصل٦٥) والقديس اثناسيوس الرسولى (كمال البرهان على حقيقة الايمان ص ٨٦ ــ ٨٨) والقديس كبريانوس (فى رسالته ٦٣) والقانون ٤٤ من قوانين مجمع قرطاجنة .

(د) كما أن إخراج الموعوظين بعد نهاية الجزء التعليمى فى القداس له ذكر فى غالبية الليتورجيات ويتفق مع القانون ٥٢ من الكتاب الأول من قوانين الرسل .

(هـ) كذلك فان استحالة القرابين الى جسد المسيح الطاهر ودمه الزكى تشير اليها جميع الليتورجيات . فهى تتم عندما يستدعى الكاهن ــ ساجدا مع الشعب ــ الروح القدس ليحل على القرابين ليطهرها وينقلها الى جسد المسيح ودمه الاقدسين . وعن الاستحالة تتكلم القوانين ٤٤ ، ٥٢ من الكتاب الأول من قوانين الرسل ، وكذلك رسالة أغناطيوس (لأهل أزمير٧) والدفاع الأول ليوستينوس (٦١) وكتاب إيريناوس ضد الهراطقة (٤ :١٨ ،٤: ٥) . وكذلك القديس كيرلس الاورشليمى (فى الاسرار ١:٤ ،٢ ،٣ــ٦) والقديس يوحنا الذهبى فمه (فى تفسير متى مقالة ٨٢ :٩ ،٤ ،٥) والقديس امبروسيوس (فى الاسرار٩:٥٣ ، ٨:٣٧ ،٤٨) .. الخ .

(و) وعن الاستعداد للتناول بالصوم يتحدث القانون ٤٣ من الكتاب الاول لقوانين الرسل وكذلك القانونين ١٩ ،٢٨ من مجموعة قوانين أبوليدس .

(ز) وعن التناول تتحدث جميع الليتورجيات برأى واحد يتفق مع قوانين الرسل (راجع القانون ٤٠ من الكتاب الاول وكذلك القانون السابع من الكتاب الثانى) كذلك القانونين ٢١ ، ٢٨ من قوانين أبوليدس .

والخلاصة أن جميع الليتورجيات القديمة علاوة على أنها من وضع الرسل أنفسهم إن لم يكن تفصيلا كما في القداس المرقسى .. فانما اجمالا كما فى سائر القداسات التى وضعها آباء الكنيسة الأوائل وفقا للتسليم الرسولى .

وعلى ذلك فالليتورجيات القديمة سواء الخاصة بسر الأوخارستيا أو بسر العماد أو ليتورجيات اللقان والصلوات الخاصة بالتكريس لرتب الكهنوت كلها تعد تراثا كنسيا ثمينا مسجلا لتلك الطقوس وحافظا للتقليد الرسولى المسجل فيها .

والخلاصة : ان الوسائط التى حفظت لنا التقليد المقدس هى :

١ ــ الكنيسة ممثلة فى معلميهاونظام الكهنوت فيها .
٢ ــ أقوال آباء الكنيسة القدامى وكتاباتهم .
٣ ــ كتابات ثقاة مؤرخى الكنيسة القدامى .
٤ ــ تحديدات وقوانين المجامع المقدسة .
٥ ــ صلوات الكنيسة وطقوسها .

كلمــة شــكر

يعجز لسانى وقلمى عن التعبير عما يغمر قلبى من مشاعر الحمد والثناء لالهنا الذى أعاننى على إخراج هذا الكتيب والذى وضع فى قلب أبينا الحبيب وأسقفنا المكرم نيافة الأنبا شنوده ، أسقف المعاهد الدينية والتربية الكنسية ، هذا الحب الدافق لشعبه والتشجيع المستمر لضعفى .

فأتقدم بوافر الشكر لنيافته على تفضله بمراجعة هذا الكتيب وتصحيحه وتتويجه بمقدمة من درر كتاباته الايمانية وتعليمه الروحانى الثمين .

كما أتقدم بوافر الشكر أيضا لقداسة أبينا الحبيب وأستاذنا الجليل القمص باخوم المحرق لتكرمه وتفضله بالاطلاع على هذا الكتيب وتتويجه بمقدمة من درر تعاليمه الايمانية وكتاباته الروحانية الثمينة .

نسأل الهنا أن يعوضهما كل خير وبركة . آمين .

المؤلف

SHIHEET



PDF 2011

